الإيضاح بعد الإبهام في خطاب القرآن دراسة في سورة آل عمران

أ.م.د. مهند مرموص عبود

كلية الآداب / الجامعة العراقية

Clarification after the thumb in the speech of the Qur'an Study in Surat Al-Imran

Assistant Professor Dr. Muhannad Marmous Abboud

College of Arts / Iraqi University

الملخص:

يدور هذا البحث حول المسـوغات البلاغية للإطناب في خطاب القرآن الكريم ، متخذا من سـورة (آل عمران) مضمارا للتطبيق من أجل كشف النقاب عن جماليات البيان الأعلى من خلال أنواع الاطناب المشـهورة و المندرسـة وما يتوقف عليها من معاني مقاصدية ، للتأكيد على إن شطر الحسـن في القرآن الكريم هي التراكيب المعجزة بلاغيا ، ولأجل ذلك تم الوقوف على أبرزها مع تسـمية المصـطلحات البلاغية وردها إلى أصـولها من القديم والحديث ، والتعريف بها ، وربطها بالنصوص القرآنية على سبيل التطبيق بمواضع متتالية من سورة (آل عمران) باختصار متناه من دون حشو ولا تطوال ليأخذ البحث بيد القارئ إلى تلك الأضرب بلا ملل ،غير آبه بالاختلافات ما دامت تدور حول هدف واحد ؛ وهو اظهار جمال القرآن

Abstract

This research revolves around rhetorical rationale for redundancy in the discourse of the Holy Qur'an, using Surat (Al Imran) as a field of application in order to unveil the aesthetics of the supreme statement through the famous and studied types of redundancy and what depends on it for my purposes of intent, to confirm that the good part in the Qur'an The Holy are the miraculous structures rhetorically, and for that reason, the most prominent were identified with the naming of rhetorical terms and their return to their origins from the ancient and the modern, and defining them, and linking them to the Quranic texts as an application in successive areas of Surat (Al-Imran) in a finite summary without filling and not long enough to take the research in hand The reader goes to those bored without boredom, disregarding the differences as long as they revolve around one goal; It is a show of the beauty of the Qur'an

المقدمة

القرآن الكريم هو البيان الأعلى ، لا يتطرق إليه الشك ، ولا يأتيه الباطل بين يديه ، وهو معجز في لغته ، لا نقص فيه ولا زيادة ، ولا حشو فيه ولا تطوال ، ولا هو شعر ولا نثر ؛ إنما هو قرآن فحسب ، خاطب العرب على قدر عقولهم ، ومثل لهم بما رسخ في طباعهم ، حتى كانت زيادته في المبنى تحمه على الزيادة في المعنى ، ولهذه الزيادات أشكال مختلفة ، وأنماط متنوعة ، تبررها مسوغات ، وتسورها علامات ومصطلحات ، تقع جميعها تحت مسمى (الإطناب) ولكل جزئ منها إليه عود ومآب ، شاع منها القليل على لسان الكثير ، ولم يظهر ما اندرس منها إلا الحاذق البصير ، فالتكرار والخاص والعام ، تذكر حيث يذكر الاطناب على الدوام ، والتتميم والتكميل والاحتراس ، مع أنها أنواع طيبة الغراس ؛ لكنها نادر وجودها ، خافية حدودها ؛ لذا أجد في نفسي رغبة في اظهارها ، والري من أنهارها ،مختصرا بالبحث في (القرآن)، (الايضاح بعد الابهام)من سورة آل عمران

ويجدر الذكر أنني أفدت من كتب التفسير في التحليل التوجيه والتقرير ، كما افدت من كتب البيان في والحدَ والتقسيم والمعاني .

ثم جاء تاليًا بعد البيان الخاتمة لخصت فيها موقفي ، وبينت فيها وجهتي من أضرب الإطناب ، والداعي والأسباب ، والله أسأل أن يصوب خطأي ، ويرأب الصدع بما خطت يدي .

الإيضاح بعد الإبهام

التعريف الاصطلاحي : ((وهو أن يذكر اسم مبهم, ثم يوضح بعد ذلك بزيادة اللفظ))[1].مثاله قوله تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طه :120] , فلفظ وسوس جاء مبهما, ثم وضحه بقوله تعالى: (قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ) وفائدة هذا النوع من الإطناب (تمكين المعنى في النفس , تمكينا زائدا ,لوقوعهِ بعد الطلب , لتكمل لذة العلم به, فأن الشيء إذا علم بهِ من وجه تشوقت النفس للعلم بهِ من باقي وجوههِ, ف إذا حصل العلم من بقية الوجوه , كانت لذته اشد من علمه , من جميع وجوهه دفعة واحدة) [2].

ومن تعريفاته: (هو تقرير المعنى في ذهن السامع , بذكره مرتين , مرة على سبيل الإبهام والإجمال , ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح) [3]. كقوله تعالى { وَقَضَيْنَا إليه ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ} [الحجر : 66] فقوله : ان دابر هؤلاء مقطوعا , تفسير وتوضيح لقوله : ذلك الأمر , وفائدته, تفخيم شان المبين ،وتمكينه في النفس . ولو قيل : وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع، لم يكن له من الروعة مثل ما كان له من الإبهام .

ضروب الإيضاح

ومن ضروب الإيضاح والإبهام, باب نعم وبئس، على قول من يجعل المخصوص خبر لمبتدأ محذوف. ووجه حسنه، إبراز الكلام في معرض الاعتدال، نظرا إلى إطنابه من وجه، وإيجازه من وجه آخر، إلى إبهام الجمع بين المتناقضين[4]. وضروب الاطناب كثيرة ، ومقاصده متنوعة نحاول الوقوف عليها من خلال استعراض الآيات .

المحكم والمتشابه

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ [آل عمران :7].

قوله تعالى (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ)، جاء مبهما , ثم فصل قوله بـ (مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ)..، فأشارت هذه الآية إلى أن آيات القران صنفان : محكمات ، وأضداد وهي التي سميت ب المتشابهات ، ثم بين إن المحكمات هن أم الكتاب. فعلمنا أن المتشابهات هي أضداد المحكمات.

والمتشابهات هي التي لم يتضح المقصود من معانيها، فعلمنا إن صفة المحكمات والمتشابهات ، راجعة إلى ألفاظ الآيات [5]. وقوله هن أم الكتاب أي أصله الذي يعول عليه في الأحكام ، وقال هن أم الكتاب ، ولم يقل أمهات الكتاب ، لان الآيات كلها في تكاملها واجتماعها ، كالآية الواحدة ، وكلام الله تعالى واحد[6].

قوله : (فئة تقاتل في سبيل الله .....)، تفصيل وإيضاح , لقوله : (قد كان لكم أية في ..).

والالتقاء: هو اللقاء ، وصيغة الافتعال فيه للمبالغة ، واللقاء مصادفة الشخص مشخصا في مكان وتحد . ويطلق على البروز في القتال . [7]

والفئة : الجماعة من الناس ، وقوله: (فئة تقاتل) تفصيل للفئتين .

والفئتان هما المسلمون , والمشركون, يوم بدر, فالخطاب للذين كفروا كما هو الظاهر, لان المقام للمحاججة, فأعقب الإنذار, والوعيد, بإقامة الحجة , فيكون من جملة القول , ويجوز أن يكون الخطاب للملمين .

(قد كان لكم أية) أي عبرة ودلالة , على صدق ما أقول إنكم ستغلبون .

(في فئتين) فرقتين ، وأصلها أفيء الحرب ، لان بعضهم يفيء إلى بعض .[8]

المبهمات وإيضاح ما بعدها

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: 140].

قوله : (وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ) اسم إشارة ، مشار به إلى ما بعده ، كما في الضمائر المبهمة التي يفسرها ما بعدها ، نحو _ ربه رجلا _ , ومثله يفيد التفخيم ، والتعظيم , والايام بمعنى الأوقات ، لا الأيام العرفية ، وتعريفها للعهد ، إشارة إلى أوقات الظفر ، والغلبة الجارية فيما بين الأمم الماضية)،[9].

(نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ) نصرفها بينهم فنديل لهؤلاء مرة ،ولهؤلاء أخرى . والمداولة : نقل الشيء من احد إلى آخر) [10].

هذه الآية تبين اختصاص الله تعالى بالسمع والعلم المطلق ، دون غيره . وانه لا احد يعلم نية أم مريم ، مثل علمه . ولبيان أيمانها المطلق بهذه الصفات.

الاستئناف البياني

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: 154].

فجُمْلَةُ (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ) إيضاح لجُمْلَةِ (يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم) إِذْ كَانُوا قَدْ قَالُوا ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَمْ يُظْهِرُوهُ، أو هِيَ بَيَانٌ لِجُمْلَةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ إذا أَظْهَرُوا قَوْلَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ، فَتَرْجِعُ الْجُمْلَةُ إلى مَعْنَى بَدَلِ الِاشْتِمالِ مِنْ جُمْلَةِ يَظُنُّونَ لِأَنَّها لَمَّا بَيَّنَتْ جُمْلَةَ هِيَ بَدَلٌ فَهِيَ أيضًا كَالَّتِي بَيَّنَتْهَا.) [11].

جملَةُ (يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ) اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ نَشَأَ عَنْ قَوْلِهِ: قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِمَّا حَالٌ مِنْ (طَائِفَةٌ) . وَمَعْنَى يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ أَنَّهُمْ.

ذهَبَتْ بِهِمْ هَوَاجِسُهُمْ إلى أَن ظنُّوا بِاللَّهِ ظُنُونًا بَاطِلَةً مِنْ أَوْهَامِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَفِي هَذَا تَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا عَلَى جَاهِلِيَّتِهِمْ لَمْ يُخْلِصُوا الدِّينَ لِلَّهِ، وَقَدْ بَيَّنَ بَعْضَ مَا لَهُمْ الظَّنِّ بِقَوْلِهِ: يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ وَهل لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ بِمَعْنَى النَّفْيِ، بِقَرِينَةِ زِيَادَةِ (مِنْ) قَبْلَ النَّكِرَةِ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ النَّفْيِ، وَهُوَ تَبْرِئَةٌ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا سَبَبًا فِي مُقَابَلَةِ .

قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةَ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا الْإِيمَانَ أَصْلًا فَهَؤُلَاءِ الْمُتَظَاهِرُونَ بِالْإِيمَانِ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ فَبَقِيَتْ مَعَارِفُهُمْ كَمَا هِيَ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْجَاهِلِيَّةُ صِفَةٌ جَرَتْ عَلَى مَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ يُقَدَّرُ بِالْفِئَةِ أو الْجَمَاعَةِ، وَرُبَّمَا أُرِيدَ بِهِ حَالَةُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي قَوْلِهِمْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ نِسْبَةٌ إلى الْجَاهِلِ أي الَّذِي لَا يَعْلَمُ الدِّينَ وَالتَّوْحِيدَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَطْلَقَتِ الْجَهْلَ عَلَى مَا قَابَلَ الْحِلْمَ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥ ﴾ [آل عمران: 155].

(اسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ سَبَبِ الْهَزِيمَةِ الْخَفِيِّ، وَهِيَ اسْتِزْلَالُ الشَّيْطَانِ أياهُمْ، وَأَرَادَ بِـ (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ) يَوْمَ أُحُدٍ، وَ (اسْتَزَلَّهُمُ) بِمَعْنَى أَزَلَّهُمْ أي جَعَلَهُمْ زَالِّينَ، وَالزَّلَلُ .

وَالْمَعْنَى أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ كَانَ مِنْ آثَارِ الشَّيْطَانِ، رماهم فِيهِ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا مِنْ صَنِيعِهِمْ، وَالْمَقْصِدُ مِنْ هَذَا إِلْقَاءُ تَبِعَةِ ذَلِكَ الِانْهِزَامِ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، وَإِبْطَالُ مَا عَرَّضَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ رَمْيِ تَبِعَتِهِ عَلَى أَمْرِ الرَّسُولِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِالْخُرُوجِ، وَتَحْرِيضِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ.

(وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَقِبَ الَّتِي قَبْلَهَا أَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لَهُمْ مَرْتَبَةَ حَقِّ الْيَقِينِ بِقَوْلِهِ: قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ انْتَقَلَ بِهِمْ إلى مَرْتَبَةِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ إِنْ كَانَ لِلْأَسْبَابِ تَأْثِيرٌ فَسَبَبُ مُصِيبَتِهِمْ هِيَ أَفْعَالُهُمُ الَّتِي أَمْلَاهَا الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ وَأَضَلَّهُمْ .) [12]

فقوله تعالى: (إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ) إيضاح وبيان لقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(آل عمران : 5)

هذه الآية توطئة لبيان الأمر في شأن عيسى . عليه السلام . من حيث انه مما يصور في الأرحام.

والغرض البلاغي من استعمال (هو) شد انتباه السامع وعدم التكرار في السياق.[13]

إذا الآية جاءت لإزالة الإبهام والتوضيح بشان عيسى عليه السلام .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: 33- 34).

يخبر الله تعالى انه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ، فاصطفى ادم عليه السلام واصطفى نوحا عليه السلام، وأرسله إلى قومه واصطفى آل إبراهيم: إسماعيل وإسحق، وذريتهما، ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمد صلى الله ، واصطفى آل عمران ، والمراد بعمران هنا والد مريم . اصطفاهم على الناس أجمعين ، ولم يصطفهما الله جل وعلاه عبثا ، بل اصطفاهما بعلمه فيهما .

فجملة (ذرية بعضهما من بعض) هي توضيح وتفسير لقوله تعالى : (إن الله اصطفى ادم ونوحا ذرية ...).

ومن هذا السياق نعلم لم إذا استحق آل عمران الاصطفاء من الله ، وذلك لحرصهم على الخير ، وعلى العبادة ، وعلى الخدمة لله فيهم وفي ذريتهم ، وخوفهم من الله ، والتجائهم إليه أن لا يسيروا في طريق الشيطان، وغير ذلك مما تراه خلال السياق. [14]

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: 59)

(اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ: بَيَّنَ بِهِ مَا نَشَأَ مِنَ الْأَوْهَامِ، عِنْدَ النَّصَارَى، عَن وصف عِيسَى بِأَنَّهُكَلِمَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَضَلُّوا بِتَوَهُّمِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ خَالِصَ النَّاسُوتِ. وَهَذَا شُرُوعٌ فِي إِبْطَالِ عَقِيدَةِ النَّصَارَى مِنْ تَأْلِيهِ عِيسَى، وَرَدِّ مَطَاعِنِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَهُوَ أَقْطَعُ دَلِيلٍ بِطَرِيقِ الْإِلْزَامِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا بِإِلَهِيَّةِ عِيسَى مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ خُلِقَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَقَالُوا: هُوَ ابْنُ اللَّهِ، فَأَرَاهُمُ اللَّهُ أَنَّ آدَمَ أَوْلَى بِأَنْ يُدَّعَى لَهُ ذَلِكَ، فَ إذا لَمْ يكن آدم إلها مَعَ أَنَّهُ خُلِقَ بِدُونِ أَبَوَيْنِ فَعِيسَى أَوْلَى بِالْمَخْلُوقِيَّةِ مِنْ آدَمَ .) [15].

فجملة (خلقه من تراب) هي تفسير وإيضاح تبيان لقوله تعالى: (إن مثل عيسي..).

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (آل عمران : 35) . هذه الآية تبين اختصاص الله تعالى بالسمع والعلم المطلق ، دون غيره ، وانه لا احد يعلم نية ام مريم مثل علمه ، ولبيان أيمانها المطلق بهذه الصفات .

(أنت السميع العليم)؛ لبيان إن دعاءها مختص به، لا يصرف لغيره، ولبيان انقطاع حبل رجائهما عما عداه ، مبالغة في الضراعة والابتهال لله عز وجل . [16]

إذا الآية جاءت لإزالة الإبهام في ما يدعيه المشركين.

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

(آل عمران: 92).

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية إن نوال البر لن يكون حتى ينفقون مما يحبون ، وما تنفقوه فإن الله يجازيكم بحسبه.

ولن تنالوا البر الذي هو الرحمة ، والرضا ، والجنة ، حتى تنفقوا مما تحبون أي المال ، وما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس ، وطاعة الله ، والمجاهدة في سبيله .

فجاء قوله تعالى: (حتى تنفقوا مما تحبون) إيضاح وبيان لقوله تعالى: (لن تنالوا البر) [17].

(وَافْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِبَيَانِ بَعْضِ وَسَائِلِ الْبِرِّ أيذَانٌ بِأَنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ تَدُورُ عَلَى مِحْوَرِ الْبِرِّ، وَأَنَّ الْبِرَّ مَعْنًى نَفْسَانِيٌّ عَظِيمٌ لَا يَخْرِمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا مَا يُفْضِي إلى نَقْضِ أَصْلٍ مِنْ أُصُولِ الِاسْتِقَامَةِ النَّفْسَانِيَّةِ. فَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرَانِ: أَوَّلُهُمَا التَّحْرِيضُ عَلَى الْإِنْفَاقِ وَالتَّنْوِيهُ بِأَنَّهُ مِنَ الْبِرِّ، وَثَانِيهِمَا التَّنْوِيهُ بِالْبِرِّ الَّذِي الْإِنْفَاقُ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِهِ) [18].

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(آل عمران : 121)

يعني أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم غدا يبوء للمؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب. فالخطاب للرسول محمد صلى لله عليه وسلم. [19]

فجاء قوله تعالى: (تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ) إيضاح وبيان لقوله تعالى: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ).

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (آل عمران : 49)

هذه الآية تفصيل وإجمال فبعد أن أشار . سبحانه . إلى علم الرسالة التي هيأ لها عيسى . عليه السلام . أعقب ذلك ببيان القوم الذين أرسل إليهم ، فقال تعالى: (رسولا إلى بني إسرائيل) أي أن الله تعالى سيجعل عيسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل لكي يهديهم إلى الصراط المستقيم ، ولكي يبشرهم برسول يأتي من بعده ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم [20].

وقوله : (أني اخلق لكم) إيضاح لقوله: (أني قد جئتكم بآية ..) [21].

والمعنى: إن عيسى عليه السلام قد حكى الله عنه ، انه قال لبني إسرائيل : لقد أرسلني الله إليكم لأبلغكم دعوته ، ولآمركم بإخلاص العبادة له ، وقد أعطاني سبحانه من المعجزات ما يقنعكم بصدق فيما ابلغه ، عن ربي ، ومن بين هذه المعجزات: إني اقدر على أن أصور لكم من الطين شيئا صورته مثل صورة الطير ، فأنفخ في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا حقيقيا ، ذا حياة بإذن الله ، أي بأمره وإرادته .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران: 14)، (بين- سبحانه- أهم المشتهيات التي يحبها الناس، وتهفو إليها قلوبهم، وترغب فيها نفوسهم، فأجملها في أمور ستة:[22]

أما أولها: فقد عبر عنه القرآن بقوله: (من النساء ولا شك أن المحبة بين الرجال والنساء شيء فطري في الطبيعة الإنسانية، ويكفى أن الله- تعالى- قد قال في العلاقة بين الرجل والمرأة هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ)[23] .

وأما ثاني المشتهيات: فقد عبر عنه القرآن بقوله وَالْبَنِينَ جمع ابن، وهو معطوف على ما قبله، وقد ذكر حب البنين بعد حب النساء لأن البنين ثمرة حب النساء، واكتفى بذكر البنين، لأنهم موضع الفخر في العادة وحب الأولاد طبيعة في النفس البشرية.

أما الأمر الثالث من المشتهيات :فقد عبر عنه القرآن بقوله وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ[24]. والقناطير جمع قنطار، وهو مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، تقول العرب :قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة لإحكامها، وأما المشتهيات الرابعة والخامسة والسادسة فتتجلى في قوله- تعالى- وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعامِ وَالْحَرْثِ.

قال الفخر الرازي «القنطار مال كثير يتوثق الإنسان به في دفع أصناف النوائب وحكى أبو عبيدة عن العرب أنهم يقولون: إنه وزن لا يحد. واعلم أن هذا هو الصحيح، ومن الناس من حاول تحديده. فعن ابن عباس: القنطار ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو مقدار الدية»[25].

﴿ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران : 52).

قوله تعالى : (ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ) إيضاح وبيان لأحوال الحواريون .

(قوله- تعالى- (فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ) شروع في بيان مآل أحواله- عليه السلام- وفي بيان موقف قومه منه بعد أن بين- قبل ذلك بعض صفاته ومعجزاته وخصائص رسالته.وأحس: بمعنى علم ووجد وعرف. والإحساس: الإدراك ببعض الحواس الخمس وهي الذوق والشم واللمس والسمع والبصر. يقال أحس الشيء، علمه بالحس. وأحس بالشيء شعر به بحاسته والمراد أن عيسى عليه السلام، علم من بنى إسرائيل الكفر علما لا شبهة فيه.والأنصار جمع نصير مثل شريف وأشراف.والمعنى أن عيسى- عليه السلام- قد جاء لقومه بالمعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه في دعوته ولكنه لم يجد منهم أذنا واعية، فلما ر أي تصميمهم على باطلهم، وأحس منهم الكفر أي علمه يقينا وتحققه تحقق ما يدرك بالحواس، قال على سبيل التبليغ وطلب النصرة: من أنصارى إلى الله؟ أي من أعواني في الدعوة إلى الله والتبشير بدينه حتى أبلغ ما كلفني بتبليغه.)[26]

الايضاح بآية مستقلة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢ ﴾ (آل عمران : 21 . 22)

جاء قوله تعالى : (أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ) إيضاح وبيان للآية السابقة.

(والحبوط- كما يقول الراغب- من الحبط، وهو أن تكثر الدابة الأكل حتى تنتفخ بطنها، وقد يؤدى إلى موتها. والمراد بحبوط أعمالهم إزالة آثارها النافعة من ثواب في الآخرة وحياة طيبة في الدنيا، لأنهم عملوا ما عملوا وهم لا يرجون الله وقارا.وجيء باسم الإشارة في صدر الآية، لتمييز أصحاب تلك الأفعال القبيحة أكمل تمييز، وللتنبيه على أنهم أحقاء بما سيخبر به عنهم بعد اسم الإشارة. وكانت الإشارة للبعيد، للإيذان ببعدهم عن الطريق القويم، والخلق المستقيم، وقوله أُولئِكَ مبتدأ والموصول وصلته خبره . أي: أولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وسقطت عن حيز الاعتبار، وخلت عن الثمرة التي كانوا يؤملونها من ورائها، بسبب إشراكهم بالله واعتدائهم على حرماته.) [27]

<u>الايضح بالأسباب</u>

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (آل عمران : 23 . 24).

قال ابن جرير ما ملخصه: وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله- تعالى- قد أخبر عن طائفة من اليهود المعاصرين للنبي صلّى الله عليه وسلّم أنهم دعوا إلى التوراة للتحاكم إليها في بعض ما تنازعوا فيه مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأبوا. ويجوز أن يكون هذا التنازع في أمر نبوته، أو في أمر إبراهيم ودينه، أو في حد من الحدود فإن كل ذلك مما نازعوا فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وجملة (يُدْعَوْنَ إلى كِتابِ اللَّهِ) إيضاح لقوله تعالى : (إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ) .

والمراد بكتاب الله: التوراة لان سبب النزول يؤيد ذلك .

(ثم بين- سبحانه- الأسباب التي صرفتهم عن الحق فقال: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أياماً مَعْدُوداتٍ.واسم الإشارة ذلِكَ يعود إلى المذكور من توليهم وإعراضهم عن مجلس النبي صلّى الله عليه وسلّم وعن سماعهم للحق الذي جاء به.

والمس: اتصال أحد الشيئين بالآخر على وجه الإحساس والإصابة، والمراد من النار: نار الآخرة.والمراد من المعدودات: المحصورات القليلات يقال شيء معدود: أي قليل وشيء غير معدود أي كثير. فهم يزعمون أن النار لن تمسهم إلا مدة يسيرة قد تكون سبعة أيام، وقد تكون أربعين يوما، وبعدها يخرجون إلى الجنة.) [28]

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾

(آل عمران: 19).

(وقال ابن كثير: وقوله- تعالى- إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ إخبار منه تعالى- بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلّى الله عليه وسلّم الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلّى الله عليه وسلّم، فمن لقى الله تعالى- بعد بعثة محمد صلّى الله عليه وسلّم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال- تعالى- وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ الآية. وقال في هذه الآية مخبرا بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ) [29]

(ثم بين- سبحانه- أن اختلاف أهل الكتاب في شأن الدين الحق لم يكن عن جهل منهم بالحقائق وإنما كان سببه البغي والحسد وطلب الدنيا فقال- تعالى- وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ.) [30]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ (آل عمران : 21)

قوله تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) جاء إيضاح وبيان لعقاب الكافرين الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء .

(أن الله- تعالى- قد وصف هؤلاء المارقين بصفات ينفر منها كل عاقل وصفهم أولا بأنهم: يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ أي لا يكتفون بالكفر بالله- تعالى- بل يكفرون بالآيات المثبتة لوحدانيته، وبالرسل الذين جاءوهم بالهدى والحق.ووصفهم ثانيا بأنهم يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وقتل النبيين بغير حق فعل معروف عن اليهود، فهم الذين قتلوا زكريا- عليه السّلام- لأنه حاول أن يخلص ابنه يحيى- عليه السلام- من القتل وقتلوا يحيى لأنه لم يوافقهم في أهوائهم وحاولوا قتل عيسى- عليه السّلام- ولكن الله تعالى نجاه من مكرهم، وقتلوا غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[31]. فإن قيل إن اليهود ما قتلوا كل الأنبياء فلم أخبر القرآن عنهم أنهم يقتلون النبيين ولم يقل يقتلون بعض النبيين؟فالجواب أنهم بقتلهم لبعض النبيين فقد استهانوا بمقام النبوة، ومن استهان بمقام النبوة بقتله لبعض الأنبياء فكأنه قد قتل الأنبياء جميعا.

الايضاح بثبوت الملكية

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ (آل عمران : 26).

(فصل- سبحانه- بعض مظاهر خلقه التي تدل على أنه هو مالك الملك على الحقيقة فقال- تعالى- تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ. أي أنت وحدك الذي تعطى الملك من تشاء إعطاءه من عبادك، وتنزعه ممن تشاء، نزعه منهم، فأنت المتصرف في شئون خلقك لا راد لقضائك ولا معقب لحكمك.وعبر بالإيتاء الذي هو مجرد الإعطاء دون التمليك المؤذن بثبوت المالكية، للتنبيه على أن المالكية على الحقيقة إنما هي مختصة بالله رب العالمين، أما ما يعطيه لغيره من ملك فهو عارية مستردة، وهو شيء زائل لا يدوم.) [32]

قال الفخر الرازي: (وقوله تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ محمول على جميع أنواع الملك فيدخل فيه ملك النبوة، وملك العقل، والصحة، والأخلاق الحسنة. وملك النفاذ والقدرة، وملك المحبة، وملك الأموال، وذلك لأن اللفظ عام فالتخصيص من غير دليل لا يجوز) [33].

أما الأمر الثاني الذي يدل على أنه- سبحانه- هو مالك الملك على الحقيقة فهو قوله وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ.

العزة- كما يقول الراغب- حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، من قولهم: أرض عزاز: أي صلبة، وتعزز اللحم: اشتد وعز، كأنه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه..

والعزيز الذي يقهر ولا يغلب. وتذل، من الذل، وهو ما كان عن قهر، يقال: ذل يذل ذلا إذا قهر وغلب، والعزة صفة نفسية يحس بها المؤمن الصادق في أيمانه، لأنه يشعر دائما بأنه عبد الله وحده وليس عبدا لأحد سواه، قال- تعالى- وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فالمؤمنون الصادقون أعزاء ولو كانوا في المال والجاه فقراء. أما الكافرون فهم أذلاء، لأنهم خضعوا لغير الله الواحد القهار.

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ (آل عمرن : 15= 17).

الاهتمام بالمقول

(فَإِنَّهُ نَشَأَ عَنْ قَوْلِهِ: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ) [آل عمرَان:14] الْمُقْتَضِي أَنَّ الْكَلَامَ مَسُوقٌ مَسَاقَ الْغَضِّ مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ. وَافْتَتَحَ بِكَلِمَةِ قُلْ لِلِاهْتِمَامِ بالمقول، والمخاطب بقلالنبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْعَرْضِ تَشْوِيقًا مِنْ نُفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ إلى تَلَقِّي مَا سَيُقَصُّ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ [الصَّفّ: 10])[34]

قوله – سبحانه- (الَّذِينَ يَقُولُونَ) إيضاح وتفصيل وإجمال لقوله (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) فكأنه جواب عن سؤال كأنه قيل: من أولئك المتقون؟ فقيل: هم الذين يقولون ربنا إننا آمنا..

(ثم وصفهم- سبحانه- بخمس صفات كريمة من شأنها أن تحمل العقلاء على التأسي بهم فقال: الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ.

وفي كل صفة من صفاتهم دليل على قوة أيمانهم، وإذعانهم للحق حق الإذعان. فهم صابرون، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس من أكبر البراهين على سلامة اليقين، وقد حث القرآن أتباعه على التحلي بهذه الصفة في أكثر من سبعين موضعا. وهم صادقون، والصدق من أكمل الصفات الإنسانية وأشرفها، وقد أمر الله عباده أن يتحلوا به في كثير من آيات كتابه، ومن ذلك قوله- تعالى- يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ.

هم قانتون، والقانت هو المداوم على طاعة الله- تعالى- غير متململ منها ولا متبرم بها، ولا خارج على حدودها. فالقنوت يصور الإذعان المطلق لرب العالمين.وهم منفقون أموالهم في طاعة الله- تعالى-، وبالطريقة التي شرعها وأمر بها. وهم مستغفرون بالأسحار. أي يسألون الله- تعالى- أن يغفر لهم خطاياهم في كل وقت، ولا سيما في الأسحار.)[35]

والأسحار جمع سحر وهو الوقت الذي يكون قبل الفجر. روى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ينزل ربنا- عز وجل- إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألنى فأعطيه، من ذا الذي يستغفرنى فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر.

الخاتمة

ايضاح القرآن أوسع من أن يساق في وريقات معدودات ؛ ولكن هذا ما يطيقه عقل بشري ، وتسمح به حدود البحث العلمي ، مع هذا فإني أقف على عباب زاخر ويم فاخر من أنوار التنزيل في ضورب الايضاح التي ذكرتها بإيجاز وألمحت بعض النتائج المساقة كالآتي :

1- غالب الايضاح يأتي تاليا في الآية نفسها ضمن سياق واحد.

2- ليس بالضرورة أن يكون الايضاح في الآية نفسها وقد ذكرت ضروبا من الايضاح جاءت في آية تالية للإبهام الوارد في الاية السابقة .

3- ينوب ذكر الاسباب في كثير من المبهمات عن التفسير والتوضيح إذ يقوم مقامه .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

1) الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت 739 هـ)، تح: محمد عبد المنعم، الناشر: دار الجيل . بيروت، الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء: 3.

2) الإتقان في علوم القرآن ، المؤلف : عبد الرحمن بن ابي جلال الدين السيوطي . (ال911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: 1394 هـ . 1974 م . عدد الأجزاء: 4.

3) الأساس في التفسير ،المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ) الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، 1424 هـ عدد الأجزاء: 11 (في ترقيم واحد متسلسل) .

4) أسرار التكرار في القرآن، المسمى = البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني . ومعروف بتاج القراء (ت 505 هـ). تح: عبد القادر احمد عطا . مراجعة وتعليق: احمد عبد التواب عوض. الناشر: دار الفضيلة . عدد الأجزاء : 1.

5) أنوار التنزيل و أسرار التأويل المعروف ب تفسير البيضاوي . المؤلف : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685 هـ) . تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي . الناشر : دار إحياء التراث العربي . بيروت ، الطبعة الأولى : 1418 هـ .

6) البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان – وبنفس ترقيم الصفحات) عدد الأجزاء: 4 .

7) البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة المؤلف: علي الجارم – مصطفى أمين الناشر: دار المعارف . عدد المجلدات:2 .

8) البيان والتبيين المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423 هـ عدد الأجزاء : 7 .

8) البلاغة العربية تأصيل وتجديد . المؤلف : مصطفى الصادي الجويني . الناشر : منشأة المعارف . الإسكندرية . تاريخ النشر : 1985م .

9) بنو إسرائيل في القرآن الكريم والسنة. المؤلف : محمد سعيد طنطاوي (ت 1431 هـ) الناشر: دار الشرق . القاهرة . سنة الطبع : 2000 م ، الطبعة الثانية . عدد الأجزاء :2 .

10) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: 1984 هـ عدد الأجزاء: 30 (والجزء رقم 8 في قسمين) .

11) التلخيص في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن القزويني جلال الدين المحقق: عبد الرحمن البرقوقي الناشر: دار الفكر العربي. عدد المجلدات:1 .

12) التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة الطبعة: الأولى، 1410هـ–1990م عدد الأجزاء:1

13) كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م عدد الأجزاء :1 :

14) تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية عدد الأجزاء : 20 .

15) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ –2000 م عدد الأجزاء:1

16) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – 1419 هـ.

17) حاوى فى تفسير القرآن الكريم ويُسَمَّى (جَنَّةُ الْمُشْتَاقِ في تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخَلَّاق) المؤلف: عبد الرحمن بن محمد القماش . عدد الأجزاء : 840 مجلد .

18) جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م عدد الأجزاء:24 .

19) الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – 1418 هـ .

20) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت عدد الأجزاء:1 .

21) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين جلال الدين المحلي وتلميذه النجيب جلال الدين السيوطي المؤلف: الشيخ أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (1175 – 124(طبعة قديمة على ذمة حضرة المصطفى أفندي الكتبي طبعت بالمطبعة العامرة الشرفية سنة 1318 هـ . عدد الأجزاء : 3 مجلدات) .

22) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد المؤلف: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي – مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي .المحقق: عبد الله محمود محمد عمر .الناشر: دار الكتب العلمية .سنة النشر: 1422 – 2001 عدد المجلدات : 20 .

23) حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيض المؤلف: محي الدين شيخ زاده . تحقيق : محمد عبد القادر شاهين .

، سنة النشر : 1419 هـ . 1999 م . عدد الاجزاء : 8النشر: دار الكتب العلمية

24) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن المؤلف: الرماني – الخطابي – الجرجاني المحقق: محمد خلف الله – محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف – مصر

: 1سنة النشر: 1976 عدد المجلدات

25) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ عدد الأجزاء: 16 (15 ومجلد فهارس)

26) شرح التلخيص في علوم البلاغة (ت: البرقوقي المؤلف: محمد بن عبد الرحمن القزويني جلال الدين المحقق: عبد الرحمن البرقوقي شرح شواهده : محمد هاشم دوريدي ، الناشر : دار الحكمة ، 1309 هـ . 1970 م . الطبعة الاولى .

27) لعين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال . عدد الأجزاء 8:

28) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ) الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت عدد الأجزاء: 1

29) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1407 هـ عدد الأجزاء: 4

30) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى 893 هـ المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م عدد الأجزاء:11

31) الكاشف– المؤلف : العلامة محمد جواد مغنية الناشر : دار الكتاب الإسلامي تأريخ الإصدار : 1426هـ– 2005م

32) اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد

معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م عدد الأجزاء:20

33) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – 1414 هـ عدد الأجزاء:15

34) معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ – 1979م. عدد الأجزاء:6

35) مجاز القرآن المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ) المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة الطبعة: 1381 هـ.

36) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1415هـ – 1994م عدد الأجزاء:6

37) معانى القرآن للأخفش [معتزلى] المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، 1411 هـ – 1990 م عدد الأجزاء:2

38) مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م عدد الأجزاء:1

39) معاني القرآن المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى

40) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة

ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ – 1997 م عدد الأجزاء:8

41) موسوعة فقه شيخ الإسلام ابن تيمية المؤلف الدكتور محمد رواس قلعه جي . الناشر : دار النفائس . الطبعة الثانية ، سنة النشر :1422هـ . 2001م . عدد الأجزاء : 2 .

42) محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – 1418 هـ

43) المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – 1412 هـ

44) المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة) .

الهوامش

---

(1) البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، د. بن عيسى الظاهر ، ص 169 ،170 .

(2) الإتقان في علوم القران ، للسيوطي ، ج2 , ص192 .

(3) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص202.

(4) علوم البلاغة ، البيان والمعاني والبديع ، ص162 .

(5) ينظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج3 ،ص156 .

(6) ينظر: تفسير البغوي ، ج1 ، ص213 .

(7) التحرير والتنوير ، ج3 ، ص176.

(8) ينظر: تفسير البغوي ، ج1، ص217.

(9) روح المعاني، للالوسي , ج2 ، ص282.

(10) المصدر نفسه: ، ج2 ، ص 283.

(11) التحرير والتنوير: ج4 ، ص 135 . 137 .

(12) التحرير والتنوير: ج 4 ، ص 139 . 140 .

(13) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،للثعالبي ، ص 196 .

(14) ينظر: الأساس في التفسير ، لسعيد حوى ، ج3 . ص760 .

(15) التحرير والتنوير ، ج4 . ص263 .

(16) ينظر: التحرير والتنوير ، ج4 . ص5 .

(17) ينظر: تفسير البحر المحيط : أبو حيان ، ج3 . ص114 .

(18) تفسير البيضاوي المسمى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : القاضي ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي . ج2 . ص65

(19) ينظر: التحرير والتنوير ، ج4 . ص5 .

(20) ينظر: الوسيط ، ج2 . ص112 .

(21) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري) ، ج6 . ص64 . ينظر: الوسيط ، ج2 . ص113 .

(22) تفسير الالوسي . ج3 . ص167 .

(23) الوسيط ، ج2 . ص46. 47 .

(24) سورة البقرة :187.

[25] الوسيط ، ج2 . ص48 .

[26] الوسيط ، ج2 . ص118 .

[27] تفسير ابن جرير ج 3 ص 218 .

[28] الوسيط : ج2، 64.

[29] تفسير ابن كثير ، ج2 . ص57.

[30] ينظر: بنو إسرائيل في القران والسنة، للطنطاوي . ج3 . ص24 .

[31] الوسيط ، ج 2 . ص 62 .

[32] تفسير الفخر الرازي ج 8 ص 7 طبعة عبد الرّحمن محمد.

[33] مفردات القرآن الراغب الأصفهاني ص 181، 333.

[34] التحرير والتنوير ، ج3 . 184 . 185 .

[35] الوسيط ، ج2 . ص 53 .